حوار في العراق حول
اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا

نشرت جريدة التآخي في عددها الصادر بتاريخ 28 / 10 / 1970 مقالا بعنوان :
« اللغة كاداة للتعبير في عصر التكنولوجيا » ، والمقال يتضمن مجموعة من الآراء في الموضوع لعدد من رجال العلم والفكر واللغة والنقد من بينهم الدكاترة السادة : عبد اللطيف البدري رئيس جامعة بغداد وداود سلمان علي وحسن فهمي جمعة ، والاساتذة السادة : كوركيس عواد ، وجبرا ابراهيم جبرا ، وجرجيس فتح الله مدير تحرير التآخي .

وفيما يلي موجز للمقال المذكور :

اذا كان المقصود من الموضوع التعبير عن الافكار العلمية في قالب كتابي مستساغ وباللغة العربية فان مرد هذا الضعف هو لغوي اكثر مما هو علمي اذ ان اكثر الاختصاصات كالطب والهندسة والتكنولوجيا تدرس بلغة اجنبية ، فاذا ما حاول احدهم صياغة رأي ما او فكرة كتابة وفي اللغة العربية يعوزه الكثير من المصطلحات وهو ما لا يتوفر في معاجمنا العلمية الحديثة في الوقت الحاضر وان توفر فهنالك تباين شاسع او واسع بين ما يقر في بلد عربي عن بلد آخر . وبعد كل هذا فان الكتابة هي موهبة لا يتساوى جميع الناس في التعبير فيها . اما عن حل هذه المحنة او المشكلة فانه يتطلب وقتا غير قليل لتتفق المجامع على مصطلحات موحدة تنشر بين المتخصصين في العلوم ليمارسوا الكتابة فيها والزمن كفيل برفع مستوى التعبير نطقا وكتابة عند هؤلاء المتخصصين.

ومن جهة اخرى فاننا نرى اليوم جماعة من ذوي الاختصاص في العلوم ، كالطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والرياضيات وما جرى مجراها يحاولون الكتابة بالعربية في موضوعات اختصاصاتهم فتتقاضى عليهم الكتابة ولا تستقيم لهم العبارة واذا كتبوا كانت لغتهم مختلفة لا تفي بما يرومون التعبير عنه . فما مرد ذلك ؟

لعل للغة العربية ضلعا في هذا النقص بسبب افتقارها الى كثير من مصطلحات تلك العلوم . ولكن في وسعنا القول ان كل لغات العالم الراقية تعاني مثل هذه المشكلة . فهي مشكلة لا تقتصر على العربية دون غيرها ، بل هي عامة تمس سائر اللغات الشرقية والغربية على حد سواء .

وهذه اللغة الانكليزية ، وهي في طليعة اللغات التي تحتضن ضروب التاليف في مختلف العلوم . كيف حلت تلك المشكلة ؟

انها لجات ـ في ما لجات اليه ـ الى «استعارة» كلمات لا تدخل تحت حصر من لغات اخرى لا سيما من اليونانية واللاتينية وادخلتها في صلب المصطلحات

التي تعد اليوم انكليزية بحتة . ولم تجد اللغة الانكليزية في تلك الاستعارة ضيرا ولا منقصة . بل ان ابناء تلك اللغة عدوا الاستعارة دليلا على مرونة لغتهم وقابليتها على ان « تطعم » بما تكنه اللغات الاخرى .

فما احرانا نحن ابناء العربية ان نسلك اليوم هذا السبيل فنستعير ما لا وجود له في لغتنا ، ونلبسه صيغة عربية مقبولة فنكتسب بذلك الوفا من الالفاظ الاصطلاحية المعربة .

ولسنا نقول ان « التعريب » هو العماد الوحيد الذي يركن اليه في هذا الباب . كلا ، فان في كتب التراث العربي من الالفاظ القديمة ما يجب العود اليه، ونفض غبار النسيان عنه ، واحياؤه بالاستعمال . اننا نعثر في كتب التراث القديم ، على الفاظ اصطلاحية غاية في الكثرة ، وقد تناثرت في معجمات اللغة وفي كتب العلوم المختلفة . والا فكيف تسنى لائمة العلماء القدامى كالفرابي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والزهراوي والخوارزمي ومن جرى مجراهم في ميادين العلم ، نعم كيف تسنى لهم ان يضعوا تلك التصانيف النفيسة في بابها ويعبروا فيها عن الحقائق العلمية بعبارة سليمة قويمة ؟

وفي هذا ما يبعد الشبهة عن ضعف اللغة العربية مع تسليمنا بفارق الزمن وبواقع الحال التي تتجلى اليوم في اتساع العلوم العصرية وترامي اطرافها . فلقد اخذ العلم الحديث يسير بخطى سريعة جدا لا تجارى الا بالجهد المتصل والداب المنسق .

لن يفوتنا التنويه بمزية تتحلى بها العربية ، وهي « الاشتقاق » فبينما نجد اللغات الغربية تعتمد كثيرا على « النحت » نجد العربية « لغة اشتقاقية » يتاح للباحث ان يستعين بهذه المزية العظيمة ويخرج منها بفوائد جمة تعود على لغة العلم باوفى الثمار .

وبعد هذا التحليل القيم عن دور اللغة في التعبير في عصر التكنولوجيا وشرح الاسباب الحقيقية التي تجعل كثيرا من الاختصاصيين في الميدان العلمي كالاطباء والمهندسين قاصرين عن الكتابة في ميادين اختصاصهم بلغة سليمة نجد سؤالا هاما آخر فرض نفسه في الموضوع ذاته وهو كيف استطاع الدكتور يعقوب صروف والاستاذ احمد زكي ان ينشرا عدة كتب ومقالات في موضوعات علمية عويصة في الفلك والرياضيات والجيولوجيا والنبات والكيمياء والفيزياء بلغة سليمة يستسيغها الذوق وترتضيها قواعد اللغة.

ان الجواب على ذلك يكمن في الحقائق التالية : ان الطبيب والمهندس والعالم المختص بأحد العلوم العصرية لا شك في انه قد اجتاز في اثناء دراسة مراحل دراسية : ابتدائية متوسطة ، اعدادية . لندع دراسته العالية ونقتصر على المراحل المذكورة الم يدرس في سنن هذه المراحل اللغة العربية صرفا ونحوا وانشاء؟ فاين ذهبت تلك الدراسة ؟ وهي لو احتفظ بها ، تفي في ما ارى بالغاية اللغوية التي يبتغيها العالم المختص . فلماذا نراه ، بعد ذلك يكتب باسلوب يعتوره ضعف ؟ ولماذا يخطىء في قواعد الصرف والنحو ، وهي امور سبقت له دراستها ؟

لعل من يقول ان هذا العالم المختص بعد ان تعمق في فرعه لم يعد يتسنى له الاستمرار على العناية بلغته فتركها وشانها انصرافا منه لفرعه . وقد يكون هذا صحيحا . اما ان نرجع ذلك النقص الى اللغة نفسها ونرميها بما ليست فيه ، فامر فيه كثير من التجني عليها .

وبديهي ان ذوي التخصص هم عادة اناس على قسط كبير من الذكاء والاطلاع ولعله من العبث ان يذكرهم المرء بان اداة التعبير نفسه ان يكون موفقا ومن العبث كذلك ان يذكرهم المرء بان العناية بالناحية الادبية من الفكر الانساني لا يجوز اهمالها مهما اهتم المتخصص بالقضية العلمية نفسها . وربما كان هذا بعض السبب في ان الكثير من الجامعات تصر على ان يدرس طلاب العلوم التكنولوجيا على الاقل موضوعا ادبيا واحدا كل سنة عليهم ان ينجحوا فيه بدرجة عالية . فضلا عن الناحية الانسانية التي بهذا يبقى العالم على صلة بها فانه يتمكن من تلك القوة التعبيرية ـ القوة اللفظية والاسلوبية ـ التي تجعله قادرا على صياغة افكاره العلمية في اشكال مستساغة . والذي اعرفه هو ان البعض من اقدر العلماء هو ايضا من اشد الناس فصاحة وقوة في التعبير ـ مما يجعلنا نتقول ان من كان ضئيل الحظ من الفصاحة وقوة التعبير وربما كان ايضا قليل الحظ من القدرة العلمية الحقيقية ـ ولو انه لا بد من رفض التعميم في مثل هذا المجال .

اما محنة التاليف والترجمة في العلوم عندنا فهي ذات شقين (او اكثر) ! : اولا ، محنة المؤلف النادر الذي يعشق ما يكتب او يترجم فيه بحيث يكون مستعدا للتضحية بوقته وجهده من اجل الكتابة والترجمة مهما تكن نتائج النشر . ثانيا ، محنة القارىء العربي الذي ما زال بعيدا عن الاقبال على الكتب

العلمية رغم دخول العصر التكنولوجي. كيف نعالج هاتين المحنتين ؟ لا بد من العودة بذلك الى الجامعة وما تيسره من فرص للتاليف وما تخلقه من حب حقيقي للعلم في نفوس الطلاب . القضية تربوية ، وحضارية معا . وتحتاج الى دراسة كثيرة الشعب لا تجدي معها اشارة سريعة في عجالة كهذه .

ولا ننكر ان الصعوبة التي يحسها المختصون في العلوم هي صعوبة حقيقية لا ينفعنا مطلقا محاولة التقليل من شانها . وقد اتضحت لي انا شخصيا ـ يقول الاستاذ جرجيس فتح الله ـ هذه الصعوبة عندما قمت بنقل كتاب ـ تراث الاسلام ـ المعروف الى العربية قبل ستة عشر عاما ، وبعدها اخذت اكتب واترجم الى العربية بعض الكتب والبحوث الخاصة بنظرية الموسيقى العربية وتراثها . فقد ادركت من الوهلة الاولى سبب وقوف ـ لجنة النشر للجامعيين ـ المصرية التي تالفت في العام 1935 لنقل الكتاب الاول الى العربية فاخفقت في منتصف الطريق ، اي عندما اصطدمت بابواب الطب والرياضيات والهندسة والقانون والتصوف الخ ...

وزيادة في الايضاح يجدر بنا ان نشير الى ان هناك اسبابا كثيرة تجعل من حملة الشهادات العالية المتخصصين في العلوم كالاطباء والمهندسين والتكنولوجيين في وضع لا يستطيعون فيه الكتابة في اختصاصاتهم بلغة سليمة بل حتى ان البعض منهم لا يستطيع التعبير عن افكاره العلمية في قالب كتابي مستساغ .

واول هذه الاسباب هو ضعف تعليم اللغة العربية في الدراسة الابتدائية والثانوية وهي المرحلة التي يتعلم فيها الطالب قواعد اللغة واسسها وحسب علمي ان وزارة التربية تتعاون في الوقت الحاضر مع مركز البحوث التربوية التابع لجامعة بغداد لوضع كتب جديدة لتعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية .

والسبب الآخر هو ان تعليم هؤلاء في المرحلة الجامعية على الاغلب يكون بلغة اجنبية في العراق اذ لا زلنا نعتمد على المراجع العلمية الاجنبية ولعدم توفر هذه باللغة العربية اخذنا بطريقة التدريس بلغة اجنبية.

والسبب الثالث هو ان لغة البيت ولغة الشارع تختلف كثيرا من اللغة الفصحى ولو جرت محاولة لتقريب اللغة العامية من اللغة الفصحى وعدم استعمال الكلمات العربية ونشر الفصحى عن طريق الاذاعة والتلفزة فبعد مرور وقت طال وقصر سنجد ان اللغة العامية تقترب من الفصحى .

وهناك سبب رابع وهو عدم تشجيع التاليف باللغة العربية في المجالات العلمية ويجب ان يكون هذا من الشروط المطلوبة في الترقيات العلمية التي تتطلبها الجامعات من اعضاء الهيئة التدريسية .